

التفسير المطول - سورة الرحمن 055 - الدرس 05-07: تفسير الآيات: 31-36 - محاسبة الناس حساباً دقيقاً يوم القيامة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 12-01-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ: آية من أشد آيات الوعيد:

أيها الإخوة الكرام؛ مع الدرس الخامس من سورة الرحمن، ومع الآية الحادية والثلاثين وهي قوله تعالى:

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)

سورة الرحمن

قال بعض العلماء: إن هذه الآية من أشد آيات الوعيد، وهي تشبه قوله تعالى:
ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13)
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15)

سورة المدثر

﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أي دعه لي يا محمد، أنا أُرِيه، أنا أُوَدِّيه.

محاسبة الناس حساباً دقيقاً يوم القيامة:

هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ فَرَعَ يَفْرُغُ كان مشغولاً ففرغ من شغله، وهذا المعنى لا يليق بالله إطلاقاً، لكن المعنى الآخر الذي ورد في اللغة والذي يليق بكمال الله: فرغ إلى الشيء، قصد إليه، أي سنقصد إلى محاسبتكم حساباً دقيقاً.

فَوَرَّتْ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

سورة الحجر

الناس لجهلهم يتوهمون أنك إذا أكلت مالا حراما باحتيال أو بقوة أو بغير فأنت ذكي، أنك إذا اعتديت على أعراض الناس فأنت فحل، إذا فعلت كذا وكذا فأنت شاطر، الله سبحانه وتعالى يُبين أن هناك حساباً دقيقاً دقيقاً:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزلزلة

العاقل من يبحث عن جواب لربه عن كل سؤال يوم القيامة:

ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر، وسوف يفاجأ الإنسان يوم القيامة أن أعماله في الدنيا كلها صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، مسجلة عليه بوقتها وزمانها وحجمها ونواياها وأهدافها، وأن هذا الكتاب كتاب الإنسان: **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا (49)**

سورة الكهف

من هو العاقل؟ العاقل هو الذي يبحث عن جواب لربه في كل لحظة من حياته، لماذا ابتسم لهذا الطفل ولم يبتسم لهذا؟ لم يعدل بينهما، لماذا أعطى هذا ولم يعط هذا؟ لماذا وصل هذا وقطع هذا؟ كله في حساب دقيق، إن لكل حسنة ثواباً ولكل سيئة عقاباً.

محاسبة الإنسان لنفسه قبل حساب ربه له:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ سنقصد إلى محاسبتكم **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** حساباً دقيقاً على مستوى الذرات لقول الله عز وجل: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾** ابتسمت في وجه أخيك هو لك صدقة، أفرغت دلوك في دلو المستسقي هو لك صدقة، أمطت الأذى عن الطريق هو لك صدقة، أعنت رجلاً على حملِه هو لك صدقة، دلت الصال إلى مقصده هو لك صدقة، نزعت من المسجد قشةً وضعتها في جيبك هو لك صدقة، كل الأعمال الصالحة مسجلة لك، ابتسمت ابتسامة سُخْرِيَّةٍ سوف تحاسب عليها، شددت نظرك إلى أبيك وكأنتك تُعَاتِبُهُ تحاسب عليه، أغلقت الباب بعنفٍ تعبيراً عن غضبك تحاسب عليه، تحاسب على مستوى الذرات فكيف بالأخطاء الكبيرة؟ فكيف بأكل أموال الناس بالباطل؟

فكيف بانتهاك أعراض الناس؟ فكيف بظلم الزوجة؟ كيف بظلم الذي عندك يعمل؟ لا تُعطه حقّه، الظلم ظلّمات يوم القيامة.

تهديد الله عز وجل للعباد لأنه يعلم السر وأخفى:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ من أشد آيات التهديد كقوله تعالى: ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً﴾، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنقصد إلى محاسبتكم، وربنا عز وجل إذا حاسب يعلم السر وأخفى، يعلم الخبايا، يعلم النوايا، يعلم الأهداف، يعلم المقاصد، يعلم كل شيء، ويعلم ما أعلنته، ويعلم ما أسررته، ويعلم ما خفي عليك أنت، أنت مكشوف أمام الله عز وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ هذا تهديد، يشبه قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)

سورة فصلت

الدنيا هدنة وامتحان للمؤمن والكافر:

الله عز وجل حينما يهدد هو خالقنا، هو القوي.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)

سورة البروج

فإذا قال لك إنسان: شكوتك إلى الله، إذا كنت تعرف من هو الله ينبغي أن ترتعد فرائصك، ينبغي أن ينقصم الظهر إن قيل لك: شكوتك إلى الله، لأن الله بصير، وبيده كل شيء ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ أي نحن في دار عمل، والآخرة دار حساب، نحن في دار تكليف، والآخرة دار تشريف، نحن في دار هدنة، الأمور كلها مجمدة، كالعام الدراسي كل الطلاب يدخلون إلى المدرسة، ويجلسون على مقاعد الدرس، ويستمعون إلى المدرس، لكن الذي يدرس يجد هذا يوم الامتحان، والذي لا يدرس يجد هذا يوم الامتحان، الامتحان فرز للمجتهد والمقصر، والنتائج إعلان هؤلاء هم الناجحون وهؤلاء هم الراسبون، أما العام الدراسي هدنة، كلهم طلاب عند الناس، كلهم يرتدون زياً واحداً، كلهم يستمعون إلى محاضراتٍ واحدة، يتلقون عنايةً واحدة، يستخدمون أدواتٍ واحدة، لكن شتان بين الطالب المجتهد والطالب الكسول، هذا سوف يكرم وهذا سوف يخزى.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ: آية وعد للمؤمن ووعيد للكافر:

إذاً: لا يغتر الإنسان أنه في صحة، هو في بجموحه، له مكانة، له منصب رفيع، له شأن بين أسرته، هذا كله مؤقت، لكن الغنى والفقر بعد العرض على الله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ﴾ من أشد آيات الوعيد وبعضهم قال: هي من آيات الوعيد وآيات الوعد، ولا يخفى عليكم أن الوعد للخير، والوعيد للعقاب، قال بعض علماء التفسير: هذه الآية آية وعدٍ ووعيدٍ، فالذي جاء إلى الدنيا، وتعرّف إلى الله، وتعرّف إلى منهج الله، وطلب العلم، واختار امرأةً سالحة، وربّي بناته على طاعة الله، ونشأ أولاده تنشئةً إسلاميةً طيبةً، وكسب المال الحلال وأنفقه في طاعة الله، هذا الذي عرف الله واستقام على أمره وأحسن لخلقه وتقرّب إليه، هذا إذا فرغ الله له ليحاسبه ماذا يفعل به؟ يدخله الجنة، إذاً هذه آية وعدٍ ووعيدٍ، أي حينما يقرع جرس الامتحان الطالب المجتهد الذي أمضى العام الدراسي كله في دراسةٍ ذؤوبةٍ يرقص قلبه فرحاً، لماذا؟ كل هذا التعب وكل هذا الجهد سوف يأخذ نتائجه الآن، سيكتب، سيجيب، فهذه الآية ليست آية وعيدٍ فحسب بل هي آية وعدٍ ووعيدٍ.

محاسبة الخلق وتسوية الحساب يدعو العاقل إلى التفكير:

قال بعضهم: الحمد لله على وجود الله، في الحياة الدنيا الأوراق مختلطة، يوجد أقوياء، يوجد ضعفاء، يوجد أغنياء، يوجد فقراء، يوجد أصحاء، يوجد مرضى، يوجد مقهورون، يوجد متجبرون، يوجد أصحاب أعمار مديدة، يوجد أصحاب أعمار قصيرة، يوجد إنسان وسيم، يوجد إنسان دميم، يوجد إنسان موفّق في زواجه، إنسان غير موفّق في زواجه، الأوراق مختلطة، لكن الله سبحانه وتعالى سيسوي كل الحسابات، وسيحاسب الخلائق كلها عن كل الهنات، وسوف يفرغ كما قال الله عزّ وجل لمحاسبة الخلق، فإذا كان هناك حساب، البطولة في الاستقامة، لو فرضنا افتراضاً ليس هناك حساب، وليس هناك آخرة، والدنيا هي كل شيء، وليس هناك مبادئ، ولا قيم، ولا رحمة في قلوب العباد، لكان القوي هو الذكي، ولكان الغني هو العاقل، ولكان الذي يبني مجده على أنقاض الآخرين هو الشاطر، والذي يأخذ ما عند الناس ليستمتع به وحده هو المفلح، ولكن لأن هناك موتاً بعد الحياة، ولأن هناك حساباً دقيقاً بعد الموت، ولأن هناك جنّةً إلى أبد الأبد، وناراً إلى أبد الأبد، ولأن هناك إلهاً يحاسب على دقائق الأمور، ويحاسب على الذرّات، وكل شيءٍ عنده بمقدار.

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

سورة الأنبياء

العاقل من يمضي وقته في طاعة الله:

لأن هناك موتاً وبعثاً ونشوراً وحساباً وجنةً وناراً، وإلهاً يحصي على عباده كل حركاتهم وسكناتهم، إذاً العاقل هو المستقيم، العاقل هو الذي يكسب المال الحلال، العاقل هو الذي يمضي وقته في طاعة الله، في معرفة الله، في خدمة الخلق، في التقرب إلى الحق، هذا هو العاقل، لذلك قال العلماء: ما كل ذكيٍّ بعاقل.

قد تجد إنساناً أوتي قدرةً فكريةً فائقة تفوق بها في دراسته أو في جمع المال، أو تفوق بها فوصل إلى منصبٍ رفيع، لكنه إن لم يعرف ربه، وإن لم يعرف أن هناك آخرةً بعد الدنيا، وأن هناك حياةً أبديةً سرمديةً بعد الحياة الدنيا، وإن لم يستعد لهذه الحياة، وإن لم يستعد للحدث الذي لا بد منه، ألا وهو الموت فليس بعاقل لذلك قال تعالى:

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)

سورة القلم

فَسْتَبْصِرُ وَتُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (6)

سورة القلم

أرجح الناس عقلاً أشدهم لله حباً:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً مجنوناً، فسأل سؤال العارف: من هذا؟ قالوا: هو مجنون، قال: لا، إنه مبتلى، المجنون من عصى الله، هذا هو المجنون، لذلك: أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، كلما نما عقل الإنسان اختار الله على خلقه، واختار ما عنده على ما عند خلقه، واختار الحياة الأبدية على الحياة الدنيا العابرة، ما هذه الحياة الدنيا؟ إن كل مكتسباتك فيها منوطة بضربات القلب، إن كل مكتسباتك فيها منوطة بسيولة الدم، نقطة دمٍ إذا تجمّدت في رأس أي إنسان كائناً من كان ولو كان ملكاً يفقد منصبه، أليس كذلك؟ الله جلّ جلاله هو مالك الملك، ولا أحد يملك شيئاً في حياته، إذاً الآية الكريمة: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّفْلَانِ﴾ سنقصد إلى محاسبتكم حساباً دقيقاً، لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن

تُحاسبوا ، وزِنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا ، فَإِنَّهُ أَخْفُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا
أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ وَتَزِينُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ.

المؤمن يُلقى الله في قلبه السكينة والطمأنينة:

الله عزَّ وجل أتى على نفسٍ إنسانية، قال:

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)

سورة القيامة

هذا الذي يجلس قبل أن ينام ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟ كيف نظرت؟ إلى ماذا
استمعت؟ هل صُنْتُ سمعي عمَّا حَرَّمَ اللهُ؟ هل صُنْتُ بصري عمَّا حَرَّمَ اللهُ؟ هل ضبطت
لساني؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ
بَوَائِقَهُ .

صحيح الترغيب: خلاصة حكم المحدث: حسن

هل ضبطت جوارحي؟ هل ضبطت بيتي؟ هل ربَّيت أولادي؟ هل حفظت بناتي؟ هل
دللت زوجتي على الله؟ هل أعطيت ما بذمتي؟ هل أدَّيت واجبي؟ هل أحسنت رعاية من
استرعاني الله به؟ هذا المؤمن يسأل نفسه كل يوم:

يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27)

سورة الفجر

إن كانت نفسه لؤامةً في الدنيا أصبحت نفسه مطمئنةً عند لقاء الله عزَّ وجل، كلهم
يخاف إلا المؤمن، يلقي الله في قلبه السكينة والطمأنينة.

خير أعمال المرء خواتمها:

أيها الإخوة الكرام؛ البطولة في خريف العمر، والبطولة عند لقاء الله، والبطولة في
خواتم الأعمال، من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام:

اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير أيامنا يوم لقاك، نلقاك وأنت راضٍ عنا.

دعاء مأثور

شتانَ بين حياة المؤمن وحياة الكافر، ذكر لي أحد الإخوة يعمل في مستشفى طبيياً، جاءهم مريض مصاب بورمٍ خبيث في أمعائه، لكن هذا المريض مؤمن، قال لي هذا الطبيب: والله أمره لعجيب، ما دخل عليه أحدٌ إلا أشهده أنه راضٍ عن الله، يقول له: اشهد أنني راضٍ عن الله، يا رب لك الحمد، المرض خبيث ومؤلم، والآلام لا تُطاق، وما سُمعَ له صوتٌ ولا أنين، وكان إذا قرع الجرس يتهافت الأطباء والممرضون على خدمته، وتفوح من غرفته رائحة المسك، وتوفاه الله عزَّ وجل، وأراد الله أن يعطي هؤلاء من بالمستشفى درساً بليغاً، دخل إلى الغرفة نفسها، مريضٌ مصابٌ بورمٍ خبيثٍ في أمعائه، لم يدع نبياً إلا كالم له السباب، كلاماً، اعتراضاً، سخطاً على الله، كلاماً بذيء وقاسٍ، ومات على هذه الحالة على حالة الكفر، مرضٌ واحد، وآلامٌ واحدة، وشتانَ بين المؤمن والكافر، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: عن صهيب:

عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءً شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ صَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.

صحيح مسلم

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن:

المؤمن يرى يد الله فوق أيدي الناس، يرى يد الله تعمل في الخفاء، يرى الأفعال أفعال الله عزَّ وجل، لا يشرك مع الله أحداً، لا يرى غير الله، هذا التوحيد يريحه، يُلقي في قلبه السكينة والطمأنينة، لا ينام مقهوراً، لا ينام حاقدًا، لا ينام في حيرةٍ من أمره، لا يرى في الأرض آلهةً تتحرك، لا يرى إلا إلهاً واحداً، هو في السماء إله، وفي الأرض إله، يرى أن الأمر كله يرجع إليه، وأن الله بيده كل شيء، وبيده مصير كل مخلوق، وأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، علاقته مع الله، هذه الراحة النفسية، هذه الطمأنينة، هذه السكينة هي الصحة، ضغط الدم يأتي من ضغط الهم، ضيق الشرايين، هناك ضيق للشرايين عصبي وليس وعائياً، يوجد أمراض للشرايين لا علاقة لها بتصلبها ولكن بالشدّة النفسية التي تنزل بصاحبها.

الشرك أساس الرعب والخوف والحقد:

أيها الإخوة؛ كلما تقدّم الطب -وأنا أعني ما أقول- كلما تقدم الطب كشف أن أحد أسباب السلامة من الأمراض السكينة النفسية والطمأنينة، بل إن المرض الذي خيّر العلماء

وحتى هذه الساعة ليس له دواء، الورم الخبيث، في أحدث تفسيرات هذا المرض أن الإنسان إذا أصابته شدة نفسية خاف، أو حَقَد، أو قُهر، وهذا يأتي من الشرك، لقوله تعالى:

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَنُورَى الظَّالِمِينَ (151)

سورة آل عمران

الرعب والخوف والقهر والحقد يأتي من الشرك، يقول العلماء: إن الشدة النفسية تُضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة مكلف بضبط نمو الخلايا، فإذا ضعُف جهاز المناعة تقلت الخلايا من عقالتها، وقد يعجب إنسان أن هذه الأمراض الوبيلة تتفاقم بشكلٍ وبائي مع نقص الإيمان، ومع التعلق بالدنيا، ومع الانغماس في المعاصي والآثام.

نفس الإنسان أمانة بين يديه:

أيها الإخوة الكرام؛ كما قال الله عزَّ وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ من هما الثقلان؟ في أوجه التفسير: الإنس والجن، لأن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

سورة الأحزاب

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الله جلَّ جلاله فيما يقول العلماء: خلق الخلق في عالم الذر، وعرض عليهم الأمانة، عرض عليهم أن تكون أنفسهم أمانةً بين أيديهم، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

سورة الشمس

النفس الزكية والنفس الآثمة:

نفسك أمانةً بين يديك، إن عرَفْتَهَا برَبِّهَا، وعرَفْتَهَا بمنهج ربِّهَا، وحملتها على طاعة ربِّهَا فقد أدت الأمانة، أدت الأمانة حينما زكَّيت هذه النفس، وإذا زكَّيتها استحقت جنة ربها، فسعدت نفسك إلى أبد الأبد، أما إذا أبقيتها جاهلةً جهلت ربها، وجهلت منهج ربها، وجهلت سبيل سعادتها، وتعلقت بالدنيا، وانغمست في ملذَّاتها، ثم جاءها الموت وهي صفر اليدين، وهي

معتدية، وآثمة، ومرتكبة للمعاصي، هذه النفس تستحق النار إلى أبد الأبدین: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

معنى الثقلان:

1 - الثقلان من حملوا أمانة ثقيلة:

الله جلّ جلاله عرض الأمانة على السماوات والأرض أشفقت الخلائق منها وحملها الإنسان، حملها الإنس والجن، هؤلاء هما الثقلان، أما معنى الثقلين أي حملوا أمانة ثقيلة.

2. الثقلان سيتحملون عذاباً ثقیلاً إن هم خانوا الأمانة:

المعنى الثاني: سيتحملون عذاباً ثقیلاً إن هم خانوا الأمانة، إنسان تعطيه مصروفاً يومياً، لا له ولا عليه، لكن إنسان نُعِدُّه إعداداً ليكون في أعلى منصب، فإن لم ينجح في دراسته، تُحْمَلُهُ أعباء لا يحتملها، الغرم بالغنم، أي الإنسان لأنه قبل حمل الأمانة سخر الله السماوات والأرض تسخير تعريف وتكريم، فإن وفى بما عاهد عليه الله سبق الخلائق كلها، رُكِبَ الملك من عقلٍ بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإن سمّت شهوته على عقله صار دون الحيوان، والإنسان إما أن يكون فوق الخلائق كلهم، أو دون الخلائق كلهم.

تسخير السماوات والأرض لمن كلف بحمل الأمانة:

الآية الكريمة:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)

سورة البينة

أي خير ما برأ الله أما:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ

شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6)

سورة البينة

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ أي الإنس والجن المخلوقات التي حملت الأمانة، ولأنها

حملت الأمانة سُخِّرَتْ لها السماوات والأرض، وأنيطت بها مسؤولية جسيمة، وقد أُعْطِيَتْ سعادة

أبديةً متنامية، فإذا وُفِيَ الإنسان بما عاهد عليه الله فاز ونجح، وتَفَوَّقَ وأَفْلَحَ، وإن لم يوفِ بما عاهد عليه الله، كانت ذنوبه ثقيلةً لا يحتملها، أي لا يوجد حل وسط مع الإنسان، إما أن يتفوق فيسبق الملائكة المقربين، وإما أن يسفل فيكون أحط مخلوقات الله قاطبةً.

انقطاع الإنسان عن الله سبب استحقاقه للنار:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)

سورة التين

فإن لم يعرف الله:

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)

سورة التين

قرأت مرة خيراً في جريدة: في أستراليا تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم، وحُفِرَتْ لها الحُفَرُ ووضعت فيها للحفاظ على أسعار اللحوم في العالم، كم من شعبٍ يموت جوعاً؟ أليست هذه وحشية؟ كم شعبٍ يتلوى من الجوع؟ وكم شعبٍ يُعاني من الفقر ما يعاني؟ عشرون مليون رأس غنم يتمّ إعدامها في أستراليا حفاظاً على أسعار اللحم المرتفعة، ومحاصيل الحمضيات في أمريكا تتلف حفاظاً على أسعارها المرتفعة، فلما بدأ الزوج يتسللون إليها ليأكلوها سُمِمَتْ هذه المحاصيل في العام القادم ليحافظ أصحاب هذه المزارع على دخلهم المرتفع: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ الحرب العالمية الثانية خَلَفَتْ خمسين مليون قتيل، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فالإنسان إذا تعرّف إلى الله صار خيراً، صار مصدر عطاء، مصدر أمن، مصدر إكرام، صار كوكباً دُرياً، أما إذا انحرف عن طريق الحق صار وحشاً، الوحوش تأكل لتشبع، تغترس لتأكل فقط، لكن الإنسان يفعل ما لا يفعله وحشٌ على الإطلاق حينما ينقطع عن الله عزّ وجل.

استخلاف الإنسان في الأرض لإقامة العدل:

أيها الإنس وأيها الجن، ألم يقل الله عزّ وجل:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا (2)

سورة الزلزلة

الإنسان مخلوق مهم، إنسان حمل الأمانة، أنيط به إعمار الأرض، أنيط به إقامة حدود الله في الأرض، أنيط به الاستخلاف في الأرض، الإنسان مستخلف، قال تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

سورة البقرة

أَمَرْنَا أَنْ نَعْمُرَ الْأَرْضَ، وَأَنْ نَقِيمَ الْعَدْلَ، وَأَنْ نَحْسِنَ، فَأَنْتَقَالَ الْأَرْضَ الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ.

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف وتكريم:

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزلزلة

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)﴾ الْآلَاءُ النِّعَمُ،

وأحياناً الكون كما تعلمون سخره الله مرتين، سخره الله للإنسان تسخير تعريف وسخره تسخير تكريم.

الجنة أكبر نعمة من نعم الله على الإنسان:

الآلاء هي الآيات الكونية الدالة على عظمته وهي النعم العظمية الدالة على كرمه، الآيات الدالة على عظمته، والنعم الدالة على كرمه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حتى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ هذه من نعم الله، الإنسان أحياناً يشعر أن حظه من الدنيا قليل، لكن طاعته لله كثيرة، مطمئن، إلى ماذا هو مطمئن؟ إلى عدالة الله، وإلى الآخرة، وإلى أن الله سوف يكرمه.

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)

(سورة الضحى)

هذه الدنيا فانية، عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل، ما الذي يجعلك مطمئناً راضياً وقد لا تملك قوت يومك، وقد لا تملك مأوى تأوي إليه؟ لأن الله وعدك بجنة عرضها السماوات والأرض.

مجازاة المحسن ومعاقبة المسيء من رحمة الله بالعباد:

قد يقول قائل: ما العلاقة بين: ﴿سَنفِرُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ وبين: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ أن يفرغ الله لنا، أن يحاسبنا، أن يُجازي المحسن على إحسانه، أن يعاقب المسيء بإساءته، هذه من النعم الدالة على رحمته وعلى عدالته لذلك: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي الفحص هل يعد وقتاً مزعجاً للمجتهد؟ لا، أبداً، بالعكس وقت مريح له، لأنه في هذا الوقت يظهر تفوقه، ويظهر جده في العام الدراسي، وينال الدرجات العُلا، ويكرّم عن طريق الامتحان.

العقاب لمن عصى الله ورفض الدين:

سَنفِرُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)
سورة الرحمن

هذه الآية دقيقة جداً:

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)

سورة الرحمن

أي أنتم في قبضة الله، إذا الإنسان عصى الله ورفض الدين وقال: الدين أفيون الشعوب، وقال: الدين غيبيات، ونحن نحب الواقعية، ونريد أن نعالج مشكلات الواقع، ودعنا ما بعد الموت فمن مات وعاد إلينا فأخبرنا؟ هذا ما يقوله الجهلاء، الإنسان إذا رفض منهج الله، ورفض أصل الدين، وانكبّ على الدنيا، انكبّ على جمع الدرهم والدينار، انكبّ على الانغماس بالملذات، انكبّ على العلو في الأرض، انكبّ على أن ييني مجداً على أنقاض الناس، نقول له: ثم ماذا؟ ماذا بعد التفوق؟ وماذا بعد الغنى؟ وماذا بعد القوة؟ وماذا بعد الصحة؟ وماذا بعد السيطرة؟ وماذا بعد الزواج؟ ثم ماذا؟

عدم استطاعة الإنسان الكافر التفلت من عقاب الله:

قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي إن عصيتموني، إن لم تطبقوا منهجي، إن لم تتعرفوا إليّ، إن لم تؤمنوا بالآخرة، هل تستطيعون أن تتفلتوا من عقابي؟ هل تستطيعون أن تتفلتوا من قبضتي؟ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

تسخير أجهزة الإنسان لتتوازن مع الحياة الدنيا:

الإنسان إذا ارتفع عن الأرض -كما قرأت قبل حين- من مستوى البحر إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر، أجهزته تحتل هذا الارتفاع، أما إذا زاد عن عشرة آلاف قدم فقد سخر الله له في جسمه أجهزة تتوازن مع هذا الضغط المنخفض، ونقص الأوكسجين، لكن بعد الستة عشر ألف قدم يغيب عن الوعي لضعف التروية، وتتمدد الغازات في جسمه فتتمزق رثاه، وينفر الدم من أذنيه، ويشعر بالآلام في مفاصله، وبالآلام في أمعائه لا تطاق، ستة عشر ألف قدم، أي الطائرة الآن تطير على ارتفاع أربعين ألف قدم، أي عشرة كيلو متر، أو اثني عشر كيلو متر فقط.

أما القمر الذي وصلوا إليه وقالوا: غزونا الفضاء، قطعوا ثانيةً ضوئيةً واحدة، وقد كلفت المركبة التي وصلت إلى القمر ثمانية وأربعين ألف مليون دولار، رجلاً وصل إلى القمر باللبسة خاصة تقيهم انخفاض الضغط، وبأجهزة هي قمة العلم البشري من أجل أن يصل اثنان إلى القمر لثانية ضوئية واحدة، أما الشمس فتبعد عنا ثمانين دقائق ضوئية، المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة ضوئية، درب التبانة مجرتنا تبعد عنا مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، أما نجم القطب فأربعة آلاف سنة ضوئية، المرأة المسلسلة؟ مليون سنة ضوئية، قبل أحدث مجرة أربعة وعشرون ألف مليون سنة ضوئية، أحدث مجرة ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، ماذا قطع الإنسان؟ ثمانية وأربعون ألف مليون دولار كلفه ليقطع ثانيةً ضوئيةً واحدة، ومن شدة فظاظته يقول: غزونا الفضاء، ماذا غزوت من الفضاء؟ انتقلت بمركبة إلى القمر كلفت أموالاً لا تُحصى ولا تُعد، ثم عدت إلى الأرض.

عدم استطاعة الإنسان الفرار من الموت:

إذا قلت: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا﴾ أرسلوا مركبة بلا أشخاص من ستة أعوام وصلت إلى المشتري، تقطع في الساعة أربعين ألف ميل، وعليها مرصد عملاق قطر عدسته ثمانية أمتار، هذا المرصد رصد المجرة الحديثة التي تبعد عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، الإنسان إذا عصى الله، ورفض الدين، ورفض الإيمان بالآخرة، وانغمس في الدنيا، وانكب على جمع الأموال، وانكب على اقتناص الملذات، يُقال له: أين المهرب؟

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

سورة الجمعة

تصور إنساناً يعدو وقلبه منخلج خوفاً من واحد يتبعه، كم هي المفاجأة إذا رآه
أمامه؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾.

تقديم الجن على الإنس لأنه يستطيع اختراق السماء والأرض:

الله عز وجل قال:

وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

سورة البقرة

أينما ذهبت؟ إذا ذهبت إلى أقصى الدنيا، إذا ذهبت إلى أطراف الأرض يأتي بكم
الله جميعاً: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ فدم الجن هنا تقديم أهمية لأن الجن أقدر من الإنس على
خرق السماوات والأرض.

تقديم الإنس في بعض الآيات على الجن لأنه أقدر على البلاغة:

وحينما قال الله عز وجل:

قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيراً (88)

سورة الإسراء

فدم الإنس لأنه أقدر في البلاغة من الجن، تقديم دقيق.

الله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ومن هو صاحب السلطان؟ هو الله الواحد الديان، حتى لو أن
الإنسان وصل إلى القمر وصل للقمر بسلطان العلم، من علمه؟
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

سورة الإسراء

المركبة الفضائية التي وصلت إلى القمر هذه مصنوعة في الأرض من مواد خلقها الله، ومن حقائق كَشَفَهَا اللهُ لِلإنسان، ولولا أن الله خلق المواد وكشف الحقائق ما وصل الإنسان إلى القمر.

السلطان هو العلم الذي سمح الله به للإنسان:

﴿لَا تَتَفَدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ السلطان هو العلم، العلم الذي سمح الله لكم به، الإنسان إذا رأى الآن مثلاً طائرة تحمل ستمئة وخمسين راكباً، تحلق في أطباق الجو، هذا أحد منجزات العقل البشري، من خلق العقل البشري؟ الله جلَّ جلاله، إذاً الله عزَّ وجلَّ أعطانا أثمن جهاز على الإطلاق، الإنسان بهذا العقل صنع الطائرات، وأرسل الأقمار الصناعية، ونقل الصور، وخاطب بالصورة، وغاص إلى أعماق البحار، وبنى البيوت، وصنع الأدوية، قد يقول الله له يوم القيامة: يا عبدي لو بذلت من هذا العقل أو هذا الذكاء واحد بالمليون لعرفتني، عرفت كل شيء، وصنعت كل شيء، وارتقيت إلى كل شيء، أي منجزات الحضارة الآن شيء لا يُستهان به، هذه ثمرة من ثمرات العقل البشري، هذا العقل لو أعملته لما خلقه الله، لو أعملته لما خلق له، ماذا فعل بك؟

العقل أثمن شيء في الكون:

هل من المعقول إنسان يشتري حاسوباً مثلاً ثمنه ثلاثون مليوناً يحل له مليون مشكلة ثم يستخدمه طاولة، معقول؟ ألا يكون قد احتقره؟ نقول له: هذا تستعمله لغير ما صنع له؟ هذا يحل لك مليون مشكلة، يعطيك معلومات دقيقة، إنسان يستخدم حاسوباً بثلاثين مليون طاولة معقول؟ والذي يستخدم عقله لكسب المال فقط، للإيقاع بين الناس، للعلو في الأرض، وينسى ربَّه، فقد احتقر عقله.

أيها الإخوة؛ مثل آخر الآن يوجد طابعات ملونة، إذا الإنسان استخدمها في اختصاص معين يحقق أرباحاً كبيرة جداً، إن استخدمها طاولة يكون قد خسرها، أما إذا استخدمها في تزوير العملة يدخل السجن، الآلة واحدة، آلة واحدة يمكن أن تحقق أرباحاً طائلة، ويمكن أن تخسر قيمتها بتعطيلها واستخدامها لغير ما صنعت له، ويمكن أن تكون هذه الآلة الغالية الثمينة سبباً لدخول السجن، أليس كذلك؟ وهذا العقل، هذا العقل أثمن شيء في الكون على الإطلاق، أنت المخلوق الأول، وأثمن ما فيك العقل، لأن الجماد شيء، له طول، عرض، ارتفاع، وزن،

يشغل حيّزاً، أما النبات شيء له وزن، ويشغل حيّزاً لكنه ينمو، غير الجماد، الحيوان، يشغل حيّزاً وينمو ويتحرك، الإنسان يشغل حيّزاً، وينمو، ويتحرك، ويفكر، فالإنسان إن لم يستخدم عقله لما خلق له هبط إلى مستوى الحيوانية، الحيوان لا يحاسب وليس مكلفاً ولا يشقى، الإنسان الذي أوتي العقل إن لم يستخدمه أو عطله أو أساء استخدامه يشقى به، فلذلك الله عز وجل أعطانا أثمن نعمة على الإطلاق ينبغي أن نستخدمها وفق منهج الله عز وجل.

علامة ذكاء المؤمن استقامته على أمر الله:

الآن استخدم الأجنب العقل في أعلى مستوى، أي المنجزات شيء لا يصدق، ممكن جهاز حاسوب يقرأ أربعمئة وخمسين مليون معلومة بثنائية واحدة، ثورة المعلومات، ومع ذلك فالمجتمع البشري الآن شقي لأن هذا العقل ما نقله إلى الله، ولا عرفه بمنهج الله، فمجتمع الجريمة، مجتمع الانحطاط، مجتمع تبادل الزوجات، مجتمع زنا المحارم، مجتمع الشاذين جنسياً، مجتمع الانحلال، هذا إنسان استخدم عقله للمادة، صنعوا الطائرات، صنعوا المركبات الفضائية، نقلوا الصور الملونة، يقول لك: يلتقط مثني محطة، هذه سهلة؟ غير موضوع حرام أم حلال، سهلة تتحرك هذه الحركة الواسعة؟

لذلك العقل البشري ورد عنه في بعض الآثار: أن الله لما خلق العقل قال: أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، بك أعطي وبك آخذ.

ممكن بتفكير صحيح، بساعة تأمل صحيحة، بنظرة مجردة يمكن أن تسعد إلى أبد الأبد، والمجرم بساعة تفكير حَمَقاء يرتكب جريمة، إعدام شقاً حتى الموت، أين عقله؟ لما سيدنا خالد أسلم، ماذا يقول له النبي؟ قال له: عجبت لك يا خالد أرى لك فكراً، ما الذي أحرّك؟ أنت عاقل، أرجحك عقلاً أشدكم لله حباً، أي من علامة نكائك، من علامة رجاحة عقلك استقامتك على أمر الله، من علامة إعمال فكرك وفق ما أمر الله أن تلتزم شرع الله، فتجد هناك علاقة بين التفوق العقلي وبين الالتزام الأخلاقي.

الأحمق ينظر أمامه والعاقل يعيش مستقبله:

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَبَطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا
لَا تَتَّقُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34)

سورة الرحمن

من عرف نهاية الكون؟ هذه أحدث مجرة ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، ماذا بعدها؟ والأغرب من ذلك أن هذه المركبة التي نقلت لنا صورة هذه المجرة، هذه المجرة كانت هنا قبل ثلاثمئة ألف بليون سنة، الآن وصل ضوءها إلينا، أين هي الآن؟ هل تصدّقون أن هذه المجرات تمشي بسرعة مئتين وأربعين ألف كيلو متر بالثانية، تقترب هذه المجرات بسرعة الضوء، أين هي الآن؟ هذا الكون فماذا عن خالق الكون؟ أهذا الخالق العظيم لا نتعرّف إليه؟ لا نقرأ كلامه؟ لا نتبع منهجه؟ لا نخاف منه؟ الإمام الغزالي قال كلمة، قال: "يا نفس لو أن طبيباً منعك أكله تحبينها لا شك أنك تمتنعين، يا نفس أياكون الطبيب أصدق عندك من الله؟ إذا ما أكفرك!".

الله صادق لكن وعيد الطبيب أشدّ عنده من وعيد الله، يقول لك: جلطة، أو ضغط يرتفع فيسبب خثرة في الدماغ، شلل، ثم يقول لها: "أياكون وعيد الطبيب أشدّ عندك من وعيد الله -من جهنّم؟ إذا ما أجهلك!".

فالإمام الغزالي وصم نفسه بالكفر أو بالجهل إذا فكّر في معصية الله، والإنسان حينما يعصي الله مدموغ بالجهل، والكفر، والحمق، والغباء، ضيق الأفق، ينظر إلى أمامه ولا ينظر إلى ما بعد الذي يراه، من هو العاقل؟ هو الذي يصل إلى الشيء قبل أن يصل إليه، العاقل يعيش مستقبلاً.

المؤمن في القبر أسعد منه في الدنيا:

أيها الإخوة؛ صدّقوني أعقلكم من أدخل الموت في حساباته اليومية؛ في كسب المال، في إنفاق المال، في إدارة البيت، في معاملة الزوجة، في تربية البنات، في تربية الأولاد، في إنفاق المال، هذا هو العاقل، الذي يُعدُّ لساعة القبر حسابها.

شخص ساكن بغرفة، غرفة نوم، غرفة استقبال، غرفة طعام، مطبخ، بلاط، سجاد، تدفئة، حمام سيراميك مثلاً، ألم تتبع جنازة؟ أين يوضع هذا؟ على التراب، والله مرة كنت حاضراً دفن أخ كريم، الحفّار ترك فرجةً مفتوحةً في القبر، فلماً أهال التراب على القبر قدّرت أن كميةً كبيرةً جداً وقعت فوق الميت من التراب، الواحد وهو في الدنيا كله ملّمع، كله نظيف، عنده حمام، عنده غرف نوم، عنده ملاءات نظيفة، أما إذا دخل القبر، هذا مصيرنا جميعاً، من منا يستطيع أن يتغلّت من القبر؟ لكن القبر صندوق العمل، القبر روضة من رياض الجنة، يتسع القبر للمؤمن حتى يكون مدّ بصره، وهو روضة من رياض الجنة، والمؤمن في القبر أسعد منه في الدنيا.

الكافر في القبر من أتعس الناس:

أما الكافر:

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)

سورة غافر

من ستة آلاف سنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ضرب اثنين والخير إلى الأمام:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ هذا عذاب البرزخ، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

الاستعداد للموت بالاستقامة والعمل الصالح:

إخواننا الكرام؛ الموت قريب جداً استعدادوا له بالعمل الصالح، بالاستقامة، بالإيمان، بطلب العلم، شخص معه ضغط مرتفع كيف يعالجه؟ ليس له أعراض، لا تعالج هذا الضغط المرتفع إلا بقياس الضغط أولاً لكي تعرف أن معك ضغطاً مرتفعاً، إنسان جاهل يقول لك: ماذا أفعل؟ يكون مرتكب ألف معصية يقول لك: ماذا أفعل؟ هكذا الناس كلها، احضر مجلس علم تعرف نفسك، تعرف استقامتك، تعرف الحلال، الحرام، الخير، الشر، فالإنسان بلا علم جاهل، وهذه المجالس مباركة إن شاء الله، هذه مائدة الله، هذا كتاب الله، هذا الوحي الذي نزل على رسول الله، هذه معجزة مستمرة إلى يوم القيامة، والله ما من عملٍ على وجه الأرض أعظم من أن تتعرف إلى كلام الله، تعرف أبعاده: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَفْتَعْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَائْتَدُوا لَا تَتَّخِذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

الناس في قبضة الله يوم القيامة:

سمعت من يومين مقابلة مع إنسان له باع طويل بكتابة القصة، والقصة إذا حرّكت القسم الأسفل للإنسان هذه تحطّم القارئ وقد تصرفه عن القيم العليا، فسئل وهو في الثانية والثمانين ما مشاعرك وأنت في هذا السن؟ قال: أنا أخشى ذنوبي، كم شاب قرأ هذه القصة

فانحرف، وكم شاب قرأ هذه القصة وزلّت قدمه إلى الفاحشة، طبعاً أين التقلت؟ الله عز وجل قال: أنتم في قبضتي يوم القيامة: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

أيها الإخوة الكرام؛ أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يُمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح. صليت الفجر في جماعة يوجد درس علم صغير، نحن مقدمون على رمضان، عندنا إن شاء الله في رمضان درس الفجر ودرس بعد العشاء، هذا رمضان شهر القرب، شهر الطاعة، شهر التوبة، شهر الصلح مع الله، شهر الاستقامة، فإذا الإنسان صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح، أنت بالفجر والعشاء تغطي اليوم بكامله والليل بكامله، أنت في ذمة الله، والطاعة جميلة، أي الطائع لله والله يرقص فرحاً.

الإنسان المؤمن خفيف الوزن والمنحرف مثقل بالذنوب:

قال له: ما هذا أكبر؟ قال له: أعوذ بالله هذا عز الطاعة، الإنسان النظيف، دخله حلال، إنفاقه حلال، بيته منضبط، زوجته مؤمنة، بناته منضبطات، أولاده ربّاهم تربية دينية صحيحة، لا يوجد معصية ببيته، لا يوجد معصية بدخله، هذا إنسان خفيف الوزن كأنه يطير في الهواء، أما الإنسان المنحرف مثقل بالذنوب، الذنوب معها هموم، معها خوف، معها قلق، معها تمزق، معها سوداوية، معها تشاؤم.

أيها الإخوة الكرام؛ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34)﴾.

استحالة التقلت من قبضة الله يوم القيامة:

إن تفلنم من قبضة الله، وهذا الشيء مستحيل.

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ (36)

سورة الرحمن

شخص بأعلى درجة من العلم الاقتصاد يحمل دكتوراه من أمريكا، ويرأس شركة تأمين بأغنى بلاد العالم، ويركب أحدث سيارة، احترقت السيارة، ولحكمة أرادها الله لم يستطع أن

يخرج منها حتى أصبح فحمةً هو وزوجته، لكنه مُؤمّن على حاله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ
وَأُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (36).

عاقبة المتفلت:

كلّم يري لما الإنسان ينحرف ماذا يحل به؟ يوجد بصائر تحت سمعنا وبصرنا،
يوجد زلازل، يوجد براكين، يوجد حروب أهلية، يوجد قهر، أليس كذلك؟ يوجد تشرد، يوجد قحط،
يوجد فقر، يوجد مجاعات: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَأُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (36) في الدرس القادم إن شاء الله تعالى:

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)

سورة الرحمن

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ